

ندوة علمية منظمة من طرف المعهد الملكي
للدراستات الاستراتيجية، بتعاون مع الجامعة الأورومتوسطية
ومكتب صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان،

المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة: رؤى مشتركة حول التنمية والبناء
المؤسساتي تحت القيادة المستنيرة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس،
نصره الله ولصاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان

الرؤى والسياسات العمومية في المغرب

مداخلة السيد محمد توفيق ملين

فاس، 22 أبريل 2024

أصحاب المعالي والسعادة، السيدات والسادة،

تسلط هذه المداخلة الضوء على الخيارات الاستراتيجية والسياسات العمومية وأهم الإنجازات التي تحققت في المغرب منذ اعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله عرش أسلافه الميامين عام 1999. ولا تدعي هذه المداخلة الشمولية، بالنظر إلى تعدد الأوراش المنجزة تحت القيادة المستنيرة لجلالة الملك، ولا تشكل بأي حال من الأحوال تقييماً للسياسات العمومية المتبعة. وقد تم الحصول على البيانات المتعلقة بالمغرب الواردة في هذه المداخلة من مصادر رسمية.

واستمدت الخيارات الاستراتيجية للمغرب، المعروضة في هذه المداخلة، من الخطابات والرسائل الملكية التي تترجم الرؤية الملكية التي تؤكد على مكانة المواطنين والمواطنات المغاربة في إطار نظام ملكي قائم على المواطنة وتكرس مبدأ خدمة المؤسسات للمواطنين، وتشجع على المشاركة والقرب، وتفضل الملموس والمحسوس وتحصر على التأثير الإيجابي للسياسات العمومية على السكان.

لكن، يجدر، قبل استعراض هذه الخيارات الاستراتيجية، والسياسات العمومية والإنجازات، التذكير بثوابت الأمة المغربية.

ثوابت الأمة المغربية

يشكل تجديد عقد البيعة والتشبث بإمارة المؤمنين والتمسك بالهوية الوطنية المتعددة والتعبئة من أجل القضية الوطنية، القاعدة الصلبة والدائمة التي ورثها المغاربة وحافظوا عليها والتي يمكن الاستمرار في بناء دولة قوية وحديثة عليها.

يستند نظام الملكية في المغرب إلى العلاقة الوطيدة التي تربط الملك بشعبه والتي تتعزز من خلال العهد المؤسس للبيعة. وقد شكلت رابطة البيعة، باعتبارها إرثاً مقدساً يستمد جوهره من القرآن والسنة النبوية، الهوية المغربية ومنحتها خصوصيتها وأصالتها وساهمت بشكل كبير في صقل الشخصية التاريخية للمملكة.

إن أمير المؤمنين، سبط الرسول الكريم، هو الضامن لحرية ممارسة الشعائر الدينية ولحقوق المسلمين وغير المسلمين على حد السواء. كما أنه مؤتمن على الحفاظ على الأمن الروحي للمملكة، وتحصين النموذج الديني القائم على المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية. وتتميز الهوية المغربية بتجذرها في التاريخ وبيديناميتها وقدرتها على الانفتاح على الآخر. وتتفرد بقابليتها على الانفتاح على الحداثة وميلها للاعتدال والتسامح.

وتعكس هذه الهوية المكانة المحورية للمغرب كملتقى لثقافات متنوعة منذ الأزل، تعودت المملكة على الارتواء منها وإثرائها. فأصبحت هذه الهوية تضم الموروث الأمازيغي، والعربي والأندلسي والعبري مع عمق صحراوي أفريقي ومتوسطي متجذر في تاريخ الأمة العريق. وتحتل مسألة الدفاع عن الوحدة الترابية للمملكة المغربية الأولوية على كل القضايا الأخرى. ولا يمكن اختزالها في مجرد نزاع حدودي بسيط: فهي مسألة وجودية، تهم ركنا أساسيا من أركان الهوية الوطنية.

1. إرساء نموذج جديد

يتجسد النموذج الجديد للمغرب، كما يريده ويتصوره العاهل المغربي، في التكامل العميق بين ظهور نموذج وطني متفرد ورسم علاقة جديدة للمملكة بالعالم تركز المكانة المركزية للقارة الأفريقية.

اختيار نموذج مغربي متفرد

سعى جلالة الملك محمد السادس منذ اعتلائه عرش أسلافه الميامين، إلى وضع المغرب على مسار تنموي وفق نموذج "مغربي - مغربي" متفرد، يطمح إلى توطيد دعائم مجتمع ديمقراطي، والسهر على تحديث الحكامة المحلية، وتعزيز المواطنة، وتوسيع فضاء المشاركة والحريات العامة، علاوة على الاحترام التام لحقوق الإنسان. ويتوخى هذا النموذج تحقيق الأهداف التالية:

❖ **الرفع من نجاعة التدبير في القطاع العام من خلال ترجمة المفهوم الجديد للسلطة إلى عقيدة حقيقية، ذات طابع ملزم بالنسبة للدولة ولكل من له هذه السلطة. وبالتالي، يركز هذا المفهوم على مبادئ ربط المسؤولية بالمحاسبة، والتصدي لكل أشكال الفساد والرشوة، والحفاظ على كرامة وحقوق المواطنين والمواطنات في إطار دولة الحق والقانون.**

❖ إعادة بناء الإدارة الترابية من خلال تنفيذ ورش الجهوية المتقدمة المنصوص عليها في الدستور باعتبارها "الثورة الجديدة للملك والشعب"، اعتباراً من عام 2010 وخارطة طريق تدريجية تدمج ميثاق اللامركزية الإداري، وبرامج تعاقدية تربط بين الدولة والجهات.

❖ التنصيب في الدستور على الدفاع عن حقوق الإنسان، وانضمام المغرب إلى العديد من الاتفاقيات الدولية، ومواءمة الإطار التشريعي الوطني، وإنشاء مؤسسات وهيئات مختصة: المجلس الوطني لحقوق الإنسان¹، والمندوبية الوزارية المكلفة بحقوق الإنسان. ويعد إحداث هيئة الإنصاف والمصالحة في أبريل 2004 تجسيدا مثاليا للنموذج المغربي الفريد من نوعه في مجال العدالة الانتقالية. وقد حظيت هذه التجربة بالاعتراف الدولي باعتبارها تجربة ناجحة.

وقد توجت الجهود التي بذلها المغرب في مجال تعزيز حقوق الإنسان بانتخاب المملكة لرئاسة مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة برسم عام 2024.

❖ إرساء أسس الدولة الاجتماعية من خلال المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي تمثل بلا منازع ورشا ملكيا أعطى جلاله الملك انطلاقها في ماي 2005. وقد ساهمت هذه المبادرة، التي صنّفها البنك الدولي عام 2015 ضمن أفضل 3 برامج اجتماعية ذات تأثير كبير في العالم، في توسيع رقعة المجتمع المدني.

علاوة على ذلك، جرى تنفيذ إصلاحات رئيسية أخرى، شملت على وجه الخصوص، اعتماد القانون الإطار المتعلق بتعميم الحماية الاجتماعية في عام 2021²، وتفعيل السجل الاجتماعي الموحد اعتباراً من عام 2023 بهدف تحسين أثر السياسات الاجتماعية على السكان وضمان استهداف أفضل للفئات الهشة من السكان، وفقاً لمعايير اجتماعية اقتصادية محددة، وإطلاق البرنامج الوطني للمساعدات الاجتماعية والمالية المباشرة للأسر في نهاية عام 2023.

❖ السهر على تحديث منظومة العدالة باعتبارها أساس دولة الحق والقانون، بهدف توطيد ثقة المتقاضين من خلال الارتقاء بها في الدستور الجديد لعام 2011 إلى سلطة قضائية مع تعزيز استقلاليتها.

بناء علاقة جديدة بالعالم

إن جلالة الملك محمد السادس، المعترف بتاريخ المغرب العريق والإشعاع الحضاري للمملكة، والتقدم القوي والإنجازات الحديثة في البلاد، يطمح إلى إيصال صوت المغرب على مستوى الأمم، وينخرط بقوة في تطوير الدبلوماسية الوطنية، من خلال التدابير التالية:

❖ إرساء دبلوماسية جديدة: "القوة الناعمة للمملكة" التي يجب أن تكون في خدمة "المشروع المجتمعي والديمقراطي والحدائي" للمغرب، وأن تسمح بإزالة الحاجز بين مجالات السياسة الداخلية والخارجية التي جرت العادة أن تكون منفصلة: دبلوماسية نشطة واستباقية تربط القول بالفعل.

وقد مكن إرساء الدبلوماسية الجديدة للمملكة من أن تصبح في عام 2024 من بين 50 دولة أكثر تأثيراً في العالم، حسب مكتب "Brand Finance" البريطاني، وجعل المغرب وجهة مفضلة لاستضافة الفعاليات العالمية.

وعلى مستوى المناخ، تجلت قيادة المغرب من خلال تنظيم مؤتمرات للأطراف بشأن تغير المناخ، وهما مؤتمر الأطراف السابع "كوب 7" في عام 2001 ومؤتمر الأطراف الثاني والعشرين "كوب 22" في عام 2016.

وفيما يتعلق بالدبلوماسية الدينية، انخرطت المملكة في تكوين الأئمة وتعزيز الإسلام المعتدل من خلال إحداث المجلس الأوروبي للعلماء المغاربة في عام 2010، ومعهد محمد السادس لتكوين الأئمة والمرشدين والمرشدات³ في عام 2015، ومؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة في عام 2015.

وعلى الصعيد الأمني، تحظى جهود المغرب في مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة باعتراف عالمي، توج باختيار المملكة، في عام 2021، كشريك لافتتاح مكتب برنامج الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب والتدريب في أفريقيا بمدينة الرباط. ويندرج المغرب ضمن قائمة الدول الإحدى عشر الأكثر إسهاماً في عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام.

وفي الأخير، تجدر الإشارة فيما يتعلق بالدبلوماسية الرقمية إلى الاقتراح المشترك بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية بشأن أول قرار أممي حول الذكاء الاصطناعي. ويعتبر هذا القرار أساس العمل الدولي للإدارة والحوكمة العالمية الجماعية للذكاء الاصطناعي.

❖ إعطاء زخم جديد للميثاق الأورومتوسطي والعلاقات مع الاتحاد الأوروبي، الذي يتمتع المغرب معه بوضع متقدم منذ سنة 2008، وبشراكة من أجل الازدهار المشترك منذ عام 2019، وهذا يعني نقلة نوعية قائمة على المساواة، ومع الولايات المتحدة الأمريكية التي تحكم العلاقات معها منذ عام 2006 شراكة استراتيجية تشمل تقوية العلاقات الاقتصادية من خلال اتفاقية التبادل الحر، والتعاون الأمني ومكافحة الإرهاب.

❖ تنوع الشراكات والتوجه نحو فضاءات جغرافية جديدة مثل الصين وروسيا والبرازيل والهند، هذه الدول التي تربطها بالمغرب شراكة استراتيجية⁴، علاوة على تجمعات ومنتديات إقليمية جديدة على غرار المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا ومجلس التعاون الخليجي:

بعد إنشاء منطقة التبادل الحر مع تونس ومصر والأردن في عام 2004، وقّع المغرب في المنامة عام 2012 على خطة عمل للفترة الممتدة من 2012 إلى 2017، مُدّدت حتى عام 2019، وتحكم العلاقات مع دول مجلس التعاون الخليجي. وبشكل أكثر تحديداً، تم توقيع اتفاقية التبادل الحر مع دولة الإمارات العربية المتحدة في عام 2003. وفي نهاية الزيارة الملكية إلى هذا البلد في 4 ديسمبر 2023، تم التوقيع على إعلان مشترك "نحو شراكة مبتكرة ومتجددة ومتجدرة" بين المغرب والإمارات العربية المتحدة.

❖ إعادة النظر في العلاقات الثنائية ومتعددة الأطراف من خلال الدعوة إلى إعادة تشكيل الدبلوماسية متعددة الأطراف، بهدف بناء "مواطنة كونية": من بين تطلعات المغرب، وإصلاح ميثاق الأمم المتحدة، وإعادة هيكلة مجلس الأمن، وتعميق نموذج التعاون الثلاثي، وتعزيز التعاون جنوب-جنوب.

❖ إعادة هيكلة التعاون جنوب-جنوب بغية تمكين المجموعات الجهوية لبلدان الجنوب من مواجهة تحديات العولة وضمنان تنميتها المستدامة من خلال التكامل الإقليمي، مع التركيز على البعد الاقتصادي في مجال التعاون. وهذا ما سيسمح ب بروز أقطاب كبرى ذات اقتصادات تنافسية، بما فيها القطب الأفريقي. وفي هذا الإطار، جرى:

• في عام 2016، إطلاق مشروع خط أنبوب الغاز الضخم "المغرب-نيجيريا" بين أفريقيا والمحيط الأطلسي، والذي يهدف إلى تعزيز الاستقرار والتنمية الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة وخارجها، فضلاً عن النهوض بتكامل القارة الأفريقية؛

• في عام 2023، اقتراح المبادرة الأطلسية⁵ التي تهدف إلى تعزيز الأمن والاستقرار والازدهار المشترك في الدول الأفريقية الأطلسية²³، وتمكين دول الساحل من الوصول إلى المحيط الأطلسي.

❖ العمل من أجل الثقافة: تتوفر المملكة، التي تنظم مهرجانات سنوية للنهوض بالثقافة المغربية في العديد من المدن، على تسعة⁶ مواقع على قائمة اليونسكو للتراث العالمي و14 موقعاً ثقافياً⁷ على قائمة التراث العالمي غير المادي برسم عام 2023.

❖ تعزيز الحوار بين الحضارات باعتبار أن "الصدام لا يكون إلا بين الجهالات": يساهم المغرب في تحقيق هذه "الغاية المثلى التي ينبغي السعي إلى تجسيدها من خلال المزوجة بين كافة الهويات والثقافات في ظل احترامها"، وذلك من خلال مساهمته في إنشاء مؤسسة الثقافات الثلاث (الإسلام، والمسيحية واليهودية)، تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة ملك المغرب والعاقل الإسباني في عام 1999 بالإضافة إلى إحداث المركز الثقافي محمد السادس لحوار الحضارات في الشيلي عام 2013.

وبالإضافة إلى الزيارة الرسمية لعداسة البابا فرانسيس ولقائه التاريخي مع العاهل المغربي في الرباط في عام 2019، استضاف المغرب المنتدى العالمي التاسع لتحالف الأمم المتحدة للحضارات يومي 22 و23 نونبر 2022. واقترح المغرب بشراكة مع المملكة العربية السعودية القرار رقم 258/75 بشأن تعزيز ثقافة السلام والتسامح من أجل حماية المواقع الدينية، والذي اعتمده الجمعية العامة للأمم المتحدة في يناير 2021.

وقد توجت إنجازات جلالة الملك محمد السادس لصالح الحوار بين الحضارات بمنح جلالته « Ellis Island Medal of Honor » لعام 2019، التي تكرم قيم التنوع وتعزيز التسامح والاحترام والتفاهم بين الجماعات الدينية والعرقية، وجائزة جان جوريس للسلام في عام 2021، تقديراً لدوره الكبير في نشر قيم السلام داخل المغرب وخارجه، و"جائزة Esquipulas de la Paix" في عام 2022 من قبل منتدى رؤساء السلطات التشريعية في أمريكا الوسطى والكاريب والمكسيك، وهو أعلى وسام لهذه المنظمة البرلمانية الإقليمية.

تكريس مركزية القارة الإفريقية

ما فتى صاحب الجلالة الملك محمد السادس يجدد في خطاباته التزام ملوك المغرب الثابت من أجل تحرر وتنمية القارة الأفريقية. كما أنه يدافع عن بروز أفريقيا وريادتها.

❖ الإيمان بقدرات القارة الأفريقية، التي تمتلك موارد بشرية هامة وموارد طبيعية هائلة. فالقارة قادرة على الاعتماد على إمكاناتها الذاتية وتحقيق تطلعات نساءها ورجالها: هذه هي القناعة الراسخة لدى جلالة الملك، الذي أجرى أزيد من 53 زيارة لثلاثين دولة أفريقية. كما تستطيع أفريقيا أن تتحكم في مصيرها.

❖ إعادة النظر في أفريقيا والترافع من أجلها، باعتبارها، من الآن فصاعداً، فاعلاً رئيسياً في العلاقات الدولية وليس مجرد موضوع لها، وابتكار نموذج غير مسبوق لتنميتها: إن القارة الإفريقية بتكسيورها لقيود التهميش، يمكن أن تصبح طرفاً أساسياً في عولمة ذات ملامح إنسانية.

❖ النهوض بالتعاون رابح/رابح القائم على تبادل الكفاءات وتقاسم الخبرات وتحويل رؤوس الأموال والتكنولوجيا: وفقاً للعاهل المغربي، يظل البعد الإنساني والاجتماعي دائماً الحضور في صلب عمل المغرب لصالح القارة الإفريقية. وفي هذا الإطار، ترمي مشاريع التنمية المستقبلية بالمملكة إلى أن يكون لها تأثير فعلي، منذ صياغتها، على تنمية البلدان الإفريقية.

❖ المساهمة في مختلف التحولات في القارة الأفريقية على الصعيد الاقتصادي، والاجتماعي، والبيئي والأمني بصفة المغرب المستثمر الأفريقي الأول في غرب أفريقيا وثاني أكبر مستثمر في القارة ومساهما فعالا في تنمية رأسمالها البشري، وعضوا في مجلس السلم والأمن التابع للاتحاد الأفريقي منذ عام 2022، حيث يتولى رئاسته منذ فاتح فبراير 2024.

II. مواجهة الصعوبات من خلال التنمية الاقتصادية

بالنسبة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، يجب على المغرب بذل كل الجهود وحشد كل الطاقات بروح من نكران الذات من أجل خوض معركة الجهاد الأكبر التي نادى بها جده المنعم جلاله المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه. ويتلخص الهدف المنشود في خلق الثروات وفرص الشغل واثمين الرأسمال اللامادي وجعله أحد المعايير المتقدمة لتقييم السياسات العمومية وضمان التنمية البشرية حتى لا تتخلف المملكة عن ركب التقدم الاقتصادي والتضامن على الصعيدين الاجتماعي والمجالي⁸.

إرساء البنى التحتية الأساسية: رافعة أساسية للتحديث والإقلاع الاقتصادي في المغرب.

يعد إرساء البنى التحتية وفقا للمعايير الدولية أحد الإنجازات الرئيسية التي حققها المغرب منذ اعتلاء جلاله الملك محمد السادس، نصره الله، عرش أسلافه الميامين. ومن بين هذه الإنجازات: توسيع شبكة الطرق السيارة وتكثيفها من 327 كلم إلى ما يقرب من 1.800 كلم بين عامي 1998 و2023، وتدشين أول خط سكة حديدية فائقة السرعة في أفريقيا بين القنيطرة وطنجة (190 كلم) في نوفمبر 2018.

وفي قطاع الموانئ، تم تشغيل ميناء طنجة-المتوسط في عام 2007، الذي أصبح في عام 2023 من بين أكبر 20⁹ ميناء للحاويات في العالم والميناء الرائد للحاويات في أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط من حيث الحجم. كما ينتظر تشغيل مجمع ميناء "الناضور غرب المتوسط"، الواقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط على بعد أقل من 250 ميلاً من مضيق جبل طارق، في أوائل عام 2025، وكذا ميناء "الداخلة أتلانتيك" المستقبلي، في مطلع سنة 2029، والذي سيلبي أهداف التنمية الجيوستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية للأقاليم الجنوبية للمغرب.

تصميم استراتيجيات ومخططات وتنفيذ مشاريع مهيكلية

يرتكز النموذج المغربي على إرساء أورايش هيكلية كبرى مكّنت المملكة من الارتقاء بالفلاحة كمحرك للنمو الاقتصادي، من مضاعفة الناتج المحلي الإجمالي للصيد البحري وصادرات منتجات الصيد البحري في العقد الأخير، من الحصول على 20% من حصة السوق العالمية للفوسفاط، و38% من الحامض الفوسفوري و26% من الأسمدة الفوسفاتية في عام 2022¹⁰، من الرفع من حصة الطاقات المتجددة في القدرة الإنتاجية الوطنية للكهرباء إلى حوالي 40% حالياً، من إعلان "عرض المغرب"، في مارس 2024، في قطاع الهيدروجين الأخضر الواعد، الذي سيمكن المملكة من أن تستحوذ على ما بين 4% و6% من سوق الهيدروجين الأخضر العالمي بحلول عام 2040.

كما اعتمد المغرب سلسلة من الاستراتيجيات التي مكنته من تطوير مهن عالمية في المملكة، من أبرزها:

- صناعة السيارات حيث أصبح واحداً من أفضل 25 بلداً مُصنِّعاً للسيارات في العالم، والثاني في أفريقيا¹¹؛

- الطيران: في غضون عقدين بالكاد، نجح المغرب في الالتحاق بالنادي الحصري للمتعهدين في مجال صناعة الطيران في العالم، والمتعهد الرئيسي في هذا المجال في أفريقيا؛

- ترحيل الخدمات إلى الخارج: يحتل المغرب المرتبة الثلاثين عالمياً كأفضل وجهة في هذا المجال وثاني أفضل وجهة في أفريقيا.

فيما يتعلق بقطاع السياحة، مكنت الرؤيتان الاستراتيجيتان لعامي 2010 و2020، المغرب، الذي بلغ عدد سياحه 15 مليون سائح في عام 2023، من أن يصبح ثاني وجهة سياحية في أفريقيا بعد مصر.

فيما يخص مجال الاقتصاد الرقمي، في عام 2023، احتل المغرب المركز الأول في أفريقيا من حيث الترابط الرقمي، وذلك بفضل معدل انتشار الإنترنت الذي يبلغ 88,1%. وفي الفترة ما بين عامي 2003 و2022، تقدم المغرب 30 مرتبة في ترتيبه الدولي برسم مؤشر تطور الحكومة الإلكترونية¹².

وفيما يتعلق بالبنى التحتية للمطارات، يتوفر المغرب حاليًا على 24 مطارًا، 18 منها دولية¹³.

تعزير الاستثمار

" الاستثمار، نعم الاستثمار، دائما الاستثمار " هو شعار جلاله الملك في الميدان الاقتصادي. وهذا ما ساعد في الحفاظ على جهود الاستثمار الوطنية في مستوى يفوق 30 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي، وهو مستوى مماثل لنظيره في البلدان الآسيوية الصاعدة، وذلك بفضل المساهمة القوية من ميزانية الدولة والمقاولات العمومية وصندوق الحسن الثاني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وبفضل تنفيذ إصلاحات متعددة الأبعاد تروم إزالة العقبات الهيكلية أمام المستثمرين وبناء الثقة وخلق بيئة مواتية للاستثمار¹⁴.

وقد ساعدت الإصلاحات المذكورة أعلاه على تحسين مكانة المغرب الدولية¹⁵. في عام 2020، احتل المغرب المرتبة 53 عالميًا من حيث سهولة ممارسة الأعمال التجارية¹⁶. وفي عام 2022، كان المغرب من بين 20 دولة أكثر جاذبية في العالم من حيث "أفضل تكلفة"¹⁷ وأحد أفضل 3 دول أفريقية من حيث التحول الهيكلي للاقتصاد¹⁸.

وقد أطلق المغرب تنفيذ ميثاق الاستثمار الجديد، في عام 2022، بالإضافة إلى تفعيل صندوق محمد السادس للاستثمار الذي تم إنشاؤه في عام 2020. ويتمثل الهدف المنشود من ذلك في توجيه الاستثمارات نحو الأولويات الاستراتيجية للمملكة، وتعزيز تأثيرات الاستثمار العام، لا سيما فيما يتعلق بخلق فرص عمل مستقرة وتنمية مجالية عادلة، وتشجيع الاستثمار الخاص والرفع من حصته إلى ثلثي إجمالي الاستثمار بحلول عام 2035.

تحسين التنافسية اللوجستية

منذ عام 2017، تدرج المملكة ضمن أفضل 20 سوقًا لوجستية ناشئة في العالم، وهو تصنيف¹⁹ يعتمد على تطور قطاع اللوجستيات في 50 دولة وفقًا لأربعة معايير: المزايا اللوجستية الداخلية، والمزايا اللوجستية الخارجية، ومناخ الأعمال، ودرجة الجاهزية الرقمية. ويتصدر المغرب ترتيب الدول الأفريقية. ومن ناحية أخرى، احتلت المملكة في عام 2021، المرتبة 20 من بين 159 دولة من حيث الترابط البحري²⁰.

III. إرساء مبدأ التضامن في الحياة اليومية للمواطنين

ترجم المملكة مبدأ التضامن يوميا من خلال برامج تقوية التكافل الاجتماعي وضمان الإنصاف الترابي، وكذلك من خلال عمليات منتظمة للتضامن مع الشعب الفلسطيني، وعبر البعثات الطبية العسكرية للقوات المسلحة الملكية، إضافة إلى المشاركة الدؤوبة في عمليات الأمم المتحدة لحفظ السلام.

تعزيز التماسك الاجتماعي وضمان الإنصاف الترابي

تعتبر ثقافة التضامن تقليدا متأصلا في المملكة، لذلك ما فتى صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، يدعو إلى تجديدها وإحيائها من خلال خلق نموذج عصري ومعقلن للتآزر والتعاون يستند إلى العناصر التالية:

- تعد مؤسسة محمد الخامس للتضامن القاطرة الفعلية للسياسة الاجتماعية للمملكة، باعتمادها على منطق الشراكة ولا سيما مع الجمعيات.
- لعبت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، التي أُحدثت عام 2005، دورا حاسما في مكافحة الفقر²¹، والهشاشة والإقصاء الاجتماعي، مساهمة بذلك في تحسين نتيجة مؤشر التنمية البشرية²². علاوة على ذلك، ساهمت المبادرة في تسريع وتيرة تنفيذ البرامج الموجهة للعالم القروي والتي أعطيت لها الانطلاقة في منتصف تسعينيات القرن الماضي وسمحت بتعميم الوصول إلى الماء الشروب وإلى الكهرباء وتعزيز فك العزلة عن المناطق القروية.
- وُضعت استراتيجيات تنموية متكاملة ومندمجة لتلبية احتياجات العالم القروي، الذي غالباً ما يتأثر بالجفاف والمخاطر المناخية، بغية معالجة الأضرار الناجمة عن الكوارث الطبيعية (زلازل الحسيمة عام 2004 وزلازل 2023 في منطقة الحوز)، و"معالجة العجز الاجتماعي الذي تعاني منه الأحياء الحضرية الفقيرة والجماعات الأكثر حرماناً" و"مساعدة الأشخاص الذين يعانون من هشاشة شديدة".

- على المستوى الحضري، تم إطلاق برنامجين في عام 2004: برنامج "المدن الجديدة"، بهدف تخفيف الازدحام في المدن الكبيرة وتقليص النقص الكبير في السكن الاجتماعي، وبرنامج "مدن بدون صفائح".

بالإضافة إلى ذلك، تم تنفيذ مخططات جديدة للتهيئة الحضرية مكنت من تحول المدن الكبرى وعصرنتها. وخير مثال على ذلك العاصمة الرباط التي أصبحت مدينة الأنوار.

التضامن باستمرار مع الشعب الفلسطيني

بصفته رئيساً للجنة القدس الشريف منذ عام 1999، يقترح جلالة الملك مقارنة دولية لإعادة إطلاق المفاوضات من أجل "إحلال السلام العادل والدائم في الشرق الأوسط". وعلاوة على الأولوية التي تحظى بها القضية الفلسطينية عند المسلمين، يوسع جلالته مطلب التضامن ليشمل "كل المعنيين بالسلام والعاملين من أجل استتبابه".

بالإضافة إلى ترميم العديد من المساجد في فلسطين وافتتاح في عام 2015 كلية الحسن الثاني للهندسة الزراعية والتي دمرت خلال الحرب على غزة، تجسد التضامن مع الشعب الفلسطيني فيما يلي:

- توقيع العاهل المغربي وقدااسة البابا فرانسيس في 2 مارس 2019 بالرباط على نداء القدس الشريف، الذي يهدف إلى الحفاظ على الطابع الخاص متعدد الأديان والبعد الروحي والهوية الخاصة للمدينة المقدسة وتعزيزها.
- وساطة المغرب، في يوليو 2022، من أجل فتح دون انقطاع لمعبر جسر النبي Allenby/الملك حسين الحدودي الذي يربط بين الضفة الغربية والأردن. وقد كان لهذه المبادرة أثر إيجابي على الحياة اليومية للفلسطينيين وسهلت حركة الأشخاص والبضائع.
- المساعدات الإنسانية المنتظمة التي يقدمها المغرب للفلسطينيين من خلال وكالة بيت مال القدس الشريف.

تقديم المساعدة على النطاق الدولي

المغرب دولة ملتزمة بالتضامن الدولي، وما فتئ منذ استقلاله يساهم في عمليات حفظ السلام في إطار منظومة الأمم المتحدة، من خلال إرسال وحدات عسكرية مغربية إلى العديد من المواقع، وإيلاء اهتمام خاص بالاستقرار الشامل في القارة الأفريقية. وفي هذا الصدد، يتجدد تفعيل التقاليد الراسخة للتضامن من خلال إنشاء مستشفيات ميدانية بإسهام من المجتمع المدني في إطار احترام القيم الإنسانية.

IV. هاجس الاهتمام بالأجيال القادمة

تتضمن الرؤية الملكية ذات الطابع الإنساني، بعدا قويا استشرافيا واستباقيا.

الارتقاء بالنسيج الاجتماعي وتحسينه

لا ينفصل النهوض بالنسيج الاجتماعي المغربي عن باقي المجالات التي تحظى بالرعاية والتوجهات الملكية السامية.

- ❖ التربية والتكوين، من خلال الإعلان عن إصلاح التعليم كأولوية وطنية في سنة 1999، وتعميم التمدرس²³، ووضع خارطة الطريق 2022-2026 من أجل مدرسة عمومية ذات جودة للجميع. كما تم إطلاق برنامج مدن المهن والكفاءات في كل جهة من جهات المملكة وافتتاح جامعات خاصة في العديد من المدن المغربية في عام 2010.
- ❖ الاهتمام بصحة السكان، من خلال بناء العديد من المراكز الاستشفائية الجامعية الجديدة²⁴، والشروع في النهوض بالصحة العقلية²⁵، واعتماد مشروع القانون الإطار المتعلق بإصلاح المنظومة الصحية الوطنية في عام 2022.
- ❖ تحسين وضع المرأة بشكل ملحوظ، بفضل مدونة الأسرة لعام 2004، التي شكلت ثورة اجتماعية حقيقية، والتي يجري إصلاحها حاليا، وبفضل دستور عام 2011، الذي أدخل المساواة بين الرجل والمرأة، ورفع تحفظات المغرب على اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة في عام 2011.

❖ الاستثمار في الشباب، "الثروة الحقيقية للوطن"، من خلال تنفيذ سياسات عمومية مندمجة تربي الشباب للمستقبل، وتساعد في مكافحة البطالة، وتوسع نطاق مشاركتهم السياسية، وتغرس فيهم قيم المواطنة الإيجابية.

❖ تدبير الحقل الديني ومحاربة الظلامية، عبر الحفاظ على قدسية النموذج الديني المتفرد في المملكة والقائم على إمامة المؤمنين، وعلى خصوصية المذهب السني المالكي وعلى قيم التصوف التي تدعو إلى إسلام معتدل. وقد انطلقت عملية إصلاح استباقية للحقل الديني في عام 2004، تمثلت في إصدار قوانين، وإنشاء مؤسسات متخصصة، وإعادة هيكلة المجالس العلمية، وتحديد مجال إصدار الفتاوى، وتكوين الأئمة وإعادة النظر في التعليم العتيق والتربية الإسلامية.

وتلتزم المملكة، وفاء منها لتقاليد العريقة وللروابط الثقافية الراسخة مع دول الساحل "بحماية وتعزيز الإسلام السني، المعتدل، المتسامح والمنفتح، والسائد تاريخيا في المنطقة".

المغرب بلد مواطن متفاعل مع العالم

يعاني عالم اليوم من أزمات متعددة ومعقدة ستكون لها تأثيرات على معالم عالم الغد. وتشكل قضايا الإرهاب والهجرة بعض نماذجها. وأمام هذا الواقع، قام المغرب، بحكم موقعه المحوري بين القارة الأفريقية كمصدر لتدفقات الهجرة وأوروبا التي تعزز حماية حدودها، بنشر التدابير التالية:

❖ تنفيذ سياسة للهجرة ذات طابع إنساني، تقوم، منذ عام 2013، على قيم التضامن والاستقبال والترحيب واحترام حقوق المهاجرين: وقد مكنت هذه السياسة من تسوية وضعية حوالي 50 ألف مهاجر من جنوب الصحراء منذ سنة 2014، كما أنها دعمت اختيار المغرب لاحتضان مقر المرصد الإفريقي للهجرة في الرباط في دجنبر 2020. المملكة المغربية، التي يعد عاهلها رائدا في الاتحاد الإفريقي بشأن قضية الهجرة، قدمت "أجندة أفريقية للهجرة" خلال القمة الثلاثين للاتحاد الإفريقي في 29 يناير 2018 بأديس أبابا. وفي عام 2018، ترأست المملكة، بالاشتراك مع ألمانيا، المنتدى العالمي للهجرة والتنمية، واستضافت في ديسمبر 2018 في مراكش المؤتمر الحكومي الدولي للأمم المتحدة لاعتماد الميثاق العالمي للهجرة الآمنة والمنظمة والنظامية.

❖ مكافحة الإرهاب، بفضل استراتيجية اتبعتها المغرب في أعقاب الهجمات الإرهابية التي شهدتها مدينة الدار البيضاء في 16 ماي 2003، ساعدت في تفكيك أكثر من 210 خلية إرهابية منذ عام 2002. كما يعد المغرب عضوا هاما في التحالف الدولي لمكافحة الإرهاب والتطرف الديني، حيث تجري الاستعانة بالمملكة من قبل العديد من القوى التقليدية والصاعدة من أجل التعاون والتنسيق في مجال الاستخبارات وتعتبر المملكة شريكاً موثوقاً لحلف الناتو في مكافحة الإرهاب. لقد شارك المغرب في رئاسة المنتدى العالمي لمكافحة الإرهاب لثلاث ولايات متتالية، إلى جانب هولندا بين عامي 2015 و2019، وكندا من 2019 إلى 2022، والاتحاد الأوروبي منذ سبتمبر 2022، وتم افتتاح مكتب برنامج الأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب في أفريقيا بمدينة الرباط في عام 2021.

الكوكب في صلب الاهتمام

يفصح جلالة الملك بوضوح عن انشغال المملكة بشأن مستقبل الأجيال القادمة، ولا سيما فيما يرتبط بتدبير الموارد الطبيعية وحماية البيئة ومواجهة التغيرات المناخية. ويكمن الحل في السعي لتحقيق التنمية المستدامة عبر الاعتماد على اقتصاد نظيف خال من الكربون، وتطوير البحث والابتكار في مجال المناخ.

❖ تدبير الموارد الطبيعية

- الماء: تم تشييد 50 سدًا جديدًا من الحجم الكبير والمتوسط منذ تولي عاهل البلاد العرش، وهناك 20 سدًا آخر قيد الإنشاء. كما تم إطلاق مشاريع لمعالجة المياه العادمة وإعادة استخدامها، وإطلاق مشاريع تحلية مياه البحر اعتباراً من عام 2019 في العديد من المدن الساحلية في المملكة، والشروع في تنفيذ البرنامج الوطني للتزويد بالماء الصالح للشرب والري "2020-2027" لتلبية الحاجة الملحة للأمن المائي، وكذا إنشاء الطرق السيارة للمياه والربط بين الأحواض المائية.
- المناطق الساحلية: في عام 2015، صدر القانون الذي يحدد مبادئ وقواعد التدبير المتدمج والمستدام للمناطق الساحلية بهدف حمايتها وتثمينها والحفاظ عليها. كما تم اعتماد المخطط الوطني للساحل في عام 2022، بهدف التوفيق بين حماية البيئة والأنشطة الاقتصادية.

- نظام الواحات: في عام 2004، تم إعداد الاستراتيجية الوطنية لتهيئة وتنمية الواحات في المغرب. وبمناسبة مؤتمر الأطراف الثاني والعشرين في عام 2016، تم إطلاق مبادرة "الواحات المستدامة" بهدف تعزيز الاعتراف بتراث الواحات والحفاظ عليه وتنميته علاوة على حشد الموارد اللازمة لتحقيق هذه الأهداف.
- ❖ حماية البيئة، من خلال إنشاء مؤسسة محمد السادس لحماية البيئة عام 2001، وصياغة الميثاق الوطني لحماية البيئة والتنمية المستدامة عام 2014، وإطلاق مبادرة الحزام الأزرق عام 2016، ووضع الاستراتيجية الوطنية للتنمية المستدامة عام 2017، والشروع سنة 2020 في عملية إعداد "استراتيجية منخفضة الكربون طويلة الأمد – المغرب 2050".

❖ مكافحة آثار التغيرات المناخية، على الصعيد الوطني من خلال سياسة نشيطة لتنمية الطاقات المتجددة والتبني التدريجي لاستراتيجيات قطاعية بشأن التكيف مع تغير المناخ.

وتعد أزمة المناخ أكبر حيف يلحق بالدول النامية، خاصة دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية الأقل تطورا، وكذلك الدول الجزرية الصغيرة. وقد تمثلت التدابير الدولية للمغرب في إطلاق جلالة الملك محمد السادس والرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند، عشية اتفاق باريس في شتنبر 2015، لنداء طنجة الذي يدعو إلى عمل قوي وجماعي وتضامني من أجل المناخ، وفي تنظيم دورتين لمؤتمر الأطراف حول التغيرات المناخية، وهما "كوب 7" و"كوب 22".

وبفضل الرؤية المستنيرة لجلالة الملك، التحقت المملكة في عام 2023 بالدول العشر الأوائل في مجال مكافحة تغيرات المناخ.

المراجع

- ¹ محل المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان الذي أنشئ في عام 1990.
- ² تنفيذ مشروع توسيع نطاق تغطية الضمان الاجتماعي ليشمل جميع المغاربة بحلول عام 2025 من حيث التأمين الصحي الإجباري، والتعويضات العائلية، والتقاعد، والتعويض عن فقدان العمل.
- ³ جرى تكوين ما يقرب من 6.000 من الأطر الدينية، بمن فيهم أكثر من 2.600 أجنبي.
- ⁴ تعود الشراكة الاستراتيجية للمغرب مع الصين وروسيا إلى عام 2016.
- ⁵ تجمع هذه المبادرة الملكية 23 دولة أفريقية مطلة على المحيط الأطلسي بهدف تعزيز الأمن والاستقرار والازدهار المشترك في المنطقة.
- ⁶ منظمة اليونسكو <https://whc.unesco.org/en/statesparties/ma>
- ⁷ منظمة اليونسكو <https://ich.unesco.org/fr/etat/maroc-MA>
- ⁸ الخطاب الملكي السامي الموجه إلى الأمة بمناسبة الذكرى الأولى لاعتلاء جلالة الملك عرش أسلافه الميامين، 30 يوليوز 2000.
- ⁹ وفقاً لتصنيف مكتب "ألفالينر" (Alphaliner)
- ¹⁰ وثيقة مرجعية للسنة المالية 2022 والنصف الأول من عام 2023 لمجموعة المكتب الشريف للفوسفات، تسجيل الهيئة المغربية لسوق الرساميل.
- ¹¹ المنظمة الدولية لمصنعي السيارات: <https://www.oica.net/category/production-statistics/2023-statistics/>
- ¹² UNDESA _UN E-Government Development Database
- ¹³ المكتب الوطني للمطارات: <https://www.onda.ma/A%C3%A9roports>
- ¹⁴ إصدار القانون المتعلق بحرية الأسعار والمنافسة في عام 2014، وتنفيذ إصلاح الكتاب الخامس من مدونة التجارة المتعلق بمساطر صعوبة المقاوله اعتباراً من عام 2018، واعتماد السياسة الوطنية لتحسين مناخ الأعمال للفترة من 2021 إلى 2025 في عام 2021، ووضع خارطة الطريق 2023-2026 في عام 2023 لمواصلة تحسين بيئة الأعمال.
- ¹⁵ +35 مرتبة بين عامي 2007 (121/73) و2019 (161/62) دولة) برسم مؤشر "أفضل البلدان للأعمال التجارية" (فوربس)؛ +12 مرتبة بين عامي 2014 و2021 من حيث جاذبية الاستثمارات في مجال الطاقات المتجددة (أرنست ويونغ)؛ +10 مراتب بين عامي 2016 و2021 في مؤشر التعقيد الاقتصادي (مختبر النمو التابع لهارفارد).
- ¹⁶ ممارسة الأعمال التجارية، البنك الدولي
- ¹⁷ كوشمان أند ويكفيلد (Cushman & Wakefield)
- ¹⁸ المؤشر الأفريقي للتحويل الاقتصادي؛ المركز الأفريقي للتحويل الاقتصادي
- ¹⁹ مؤشر أجيليتي للخدمات اللوجستية للأسواق الناشئة. مجموعة أجيليتي.
- ²⁰ مؤشر اتصال شبكة الملاحة البحرية العالمي، البنك الدولي.
- ²¹ في عام 2014، انخفض الفقر متعدد الأبعاد بنسبة 67% مقارنةً بعام 2005، وفقاً للمندوبية السامية للتخطيط.
- ²² برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.
- ²³ زيادة بين عامي 1998 و2022 في معدل التمدد من 65,9% إلى 99,5% في السلك الابتدائي، ومن 24% إلى 95% في السلك الثانوي الإعدادي، ومن 9% إلى 77,2% في السلك الثانوي التأهيلي، ومن 10% في عام 2001 إلى 40% تقريباً في عام 2021 في التعليم العالي (الفئة العمرية 19-23 عاماً). بلغ معدل التمدد بالنسبة للتعليم الأولي 76% برسم السنة الدراسية 2022-2023، مقارنة بـ 53,4% خلال السنة الدراسية 2000-2001، وفقاً لوزارة التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة.
- ²⁴ في كل من مدينة مراكش عام 2001، وفاس عام 2009، ووجدة عام 2014، وطنجة عام 2023، علاوة على توسيع شبكة المستشفيات بأكثر من 40%، وانطلاق أشغال بناء مستشفى ابن سينا الجديد في عام 2022.
- ²⁵ افتتاح المستشفى الجهوي للأمراض العقلية في مراكش عام 2008، ومستشفى الصحة العقلية والأمراض النفسية بالمركز الاستشفائي الجامعي محمد السادس في وجدة عام 2013، ومركز إعادة التأهيل النفسي والاجتماعي بالمركز الاستشفائي الجامعي ابن رشد في الدار البيضاء عام 2023. وافتتحت أول عيادة خاصة متخصصة في الأمراض العقلية في الدار البيضاء، وهي الأولى من نوعها في المغرب العربي، في عام 2011.